

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُنْعِمِ عَلَى عِبَادِهِ بِالذُّرِّيَّةِ مِنَ الْبَنَاتِ وَالْبَنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أْتَمَّ عَلَيْنَا النِّعْمَةَ وَأَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْأُسْوَةَ الْحَسَنَةَ لِلْمُرَبِّينَ، وَالْبَالِغُ الْعَايَةَ فِي الرَّفْقِ وَاللِّينِ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَرَبُّوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى مِنْهَاجِ رَسُولِ اللَّهِ، يَكُونُوا قُرَّةَ عَيْنٍ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَعِنْدَ لِقَاءِ اللَّهِ ﷻ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿١﴾.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

يُنَبِّهُنَا الْقُرْآنُ لِأَمْرِ مُهِمٍّ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَاضِرًا فِي ذَهْنِ كُلِّ أُمَّ وَأَبٍ، فَالتَّرْبِيَةُ فِي التَّشْرِيعِ الْإِلَهِيِّ تَبْدَأُ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ لِلإِنْسَانِ ذُرِّيَّةً، وَتَنْتَهِي بِانْتِهَاءِ آخِرِ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِ حَيَاةِ الإِنْسَانِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ قُدْوَةً؛ فَإِنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آقْتَدَهُ ﴾ (٢)، وَيَقْتَدِي بِهِمْ مَنْ دَرَسَ سِيرَهُمْ، وَتَدَبَّرَ أَخْبَارَهُمْ وَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَمَا شَأْنُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فِي تَرْبِيَةِ الذُّرِّيَّةِ؟

لَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ كَانَ يَسْأَلُ اللَّهَ صَلَاحَ الذُّرِّيَّةِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ لَهُ ذُرِّيَّةً، فَهُوَ الَّذِي كَانَ يَقُولُ سَائِلًا رَبَّهُ: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٣).

(١) سورة الطور/ ٢١.
(٢) سورة الأنعام/ ٩٠.
(٣) سورة الصافات/ ١٠٠.



وَمَاذَا كَانَ الْجَوَابُ مِنَ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ؟

الْجَوَابُ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِعِلْمٍ حَلِيمٍ ﴾^(١)، ﴿ وَبَشِّرُوهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ ﴾^(٢)، وَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ الْعَظِيمَتَانِ غَايَةُ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ فِي الْوَالِدِ، وَنَهَايَةُ مَا يَأْمُلُهُ كُلُّ وَالِدٍ مِنْ وَلَدِهِ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحِلْمِ وَالْعِلْمِ! وَلَا يَقِفُ الْحَدُّ عِنْدَ الدُّعَاءِ حَتَّى يُوَلِّدَ الْوَالِدُ، بَلْ إِنَّ التَّرْبِيَةَ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ لَا تَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ أَنَّهُ لَا يَزَالُ مُذَكِّرًا لَوْلَدِهِ، لَا يَتْرُكُ وَعْظَهُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفَلَ، وَمَا أَحْوَجَ الْإِنْسَانَ إِلَى التَّذْكِيرِ وَخُصُوصًا مِنْ وَالِدِيهِ! لِعِلْمِهِ أَنَّ وَالِدِيهِ لَا يَطْلُبَانِ لَهُ إِلَّا الْخَيْرَ، وَلَا يُرِيدَانِ لَهُ إِلَّا مَا هُوَ أَحْسَنُ، وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ، وَجَدَ أَنَّ ذَلِكَ الْإِبْنَ الْمَوْعُوظَ لَمْ يَكُنْ صَغِيرًا فِي سِنِّ الصَّبَا، فَإِنَّ مِثْلَ تِلْكَ الْوَصَايَا الْعَظِيمَةِ تَكُونُ لِمَنْ بَلَغَ مَبْلَغَ مَنْ يَعْطَلُ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ وَصَايَاهُ غَايَةً فِي الْحِكْمَةِ لَمَا قَصَّهَا اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَى لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾^(٣)، وَلَنَنْظُرُ كَيْفَ أَنَّ ذَلِكَ الْحَكِيمَ الْجَلِيلَ يُرَبِّي فِي وَلَدِهِ الرِّقَابَةَ الدَّائِيَّةَ الَّتِي تَكُونُ مِنْ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ وَاسْتِحْضَارِ وُجُودِهِ؛ فَيَقُولُ لَهُ: ﴿ يَبْنَى إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَبِيرٌ ﴾^(٤)، وَمَاذَا يَكُونُ بَعْدَ انْطِوَاءِ الْقَلْبِ عَلَى الرِّقَابَةِ الدَّائِيَّةِ - عِبَادَ اللَّهِ - إِلَّا الْإِحْلَاصُ فِي التَّعَلُّمِ، وَالِاتِّقَانُ فِي الْعَمَلِ، وَبِنَاءُ الْأَوْطَانِ، وَنَفْعُ النَّاسِ! وَتَرْبِيَةُ الرِّقَابَةِ الدَّائِيَّةِ مَطْلَبُ كُلِّ الْمَنَاهِجِ التَّرْبَوِيَّةِ، وَمُرَادُ كُلِّ أُمَّةٍ مِنْ أَفْرَادِهَا، ثُمَّ إِنَّ لُقْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يُوصِي وَلَدَهُ بِالِاتِّصَالِ بِاللَّهِ بِإِقَامِ الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ إِقَامَ الصَّلَاةِ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَمُدَّ صَاحِبَهُ بِقُوَّةٍ رُوحِيَّةٍ يَسْتَطِيعُ بِهَا أَنْ يَتَحَلَّى بِكُلِّ فَضِيلَةٍ، وَيَتَحَلَّى عَنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ؛ فَيَفْعَلِ الْمَعْرُوفَ وَيَنْتَهِي عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَكَبِيرٌ كَبِيرٌ ﴾^(٥)، فَيَكُونُ مُهَيِّئًا غَايَةَ التَّهْيِئَةِ بِالْحَالِ قَبْلَ الْمَقَالِ لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ لِأَنَّهُ فِي مَوْطِنِ الْخَيْرِ مَوْجُودٌ، وَمِنْ مَوْضِعِ الشَّرِّ وَالشُّبْهَةِ مَفْقُودٌ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِهِ فِي أُسْلُوبِ الْمُتَمَلِّيِّ حَنَانًا وَرِفْقًا: ﴿ يَبْنَى أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

(١) سورة الصافات/ ١٠١.
(٢) سورة الذاريات/ ٢٨.
(٣) سورة لقمان/ ١٣.
(٤) سورة لقمان/ ١٦.
(٥) سورة النكبات/ ٤٥.



الْمُنْكَرِ ﴿١﴾، وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا لَا تَخْلُو مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْمِحَنِ، كَانَ الْإِنْسَانُ فِيهَا مُحْتَاجًا إِلَى مَا يُوَاجِهُهُ بِهِ تِلْكَ الشَّدَائِدِ، وَمُسْتَلْزِمًا لِمَا يَتَجَاوَزُ بِهِ تِلْكَ الْعَقَبَاتِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَا هُوَ أَنْفَعُ مِنَ الصَّبْرِ، فَكَانَ مِنْ وَصِيَّةِ الْأَبِ لِابْنِهِ: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ﴿٢﴾.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَاتَّبَاعِهِ.
أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَلْيَعْلَمْ الْمُرْتَبُونَ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْمُعَلِّمِينَ وَالْمُعَلَّمَاتِ أَنْ الْإِنْسَانَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعِيشَ مُنْعَزِلًا عَنِ بَنِي مُجْتَمَعِهِ، بَلْ شَأْنُ الْمُؤْمِنِ مَا أَخْبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ((الْمُؤْمِنُ أَلْفٌ مَأْلُوفٌ، وَلَا خَيْرَ فِيْمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ))، فَكَانَ الْإِنْسَانُ مُحْتَاجًا إِلَى بِنَاءِ الْعَلَاقَاتِ، وَاِكْتِسَابِ مَهَارَةِ التَّوَاصُلِ مَعَ النَّاسِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنَ التَّوَاصُعِ فِي كَسْبِ الْقُلُوبِ وَحُصُولِ مَحَبَّةِ النَّاسِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ فِي وَصِيَّتِهِ: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالِفٍ فَخُورٍ﴾ ﴿٣﴾، وَإِنَّ مِنْ عِلَامَاتِ الْمُتَوَاضِعِينَ أَنَّهُمْ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا، وَلَا يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ رَفَعِ إِزْعَاجٍ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، فَكَانَ تَمَامَ وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ قَوْلُهُ: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ﴿٤﴾.

وَلَمَّا كَانَتْ التَّرْبِيَّةُ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - "تَبْلِيغَ الشَّيْءِ إِلَى كَمَالِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا"، كَانَ مِنْ شَأْنِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ الْإِلْحَاحُ عَلَى رَبِّهِمْ فِي الدُّعَاءِ بِصَلَاحِ الدَّرِيَّةِ، فَهُمْ الَّذِينَ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ

(١) سورة لقمان/ ١٧.
(٢) سورة لقمان/ ١٧.
(٣) سورة لقمان/ ١٨.
(٤) سورة لقمان/ ١٩.



لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿١﴾، وَمِنْ دُعَائِهِمْ: ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٢﴾، وَإِنَّ مِنْ حِرْصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى صَلَاحِ الذَّرِيَّةِ وَبُلُوغِهَا الْكَمَالَ وَصِيَّةَ يَعْقُوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِأَوْلَادِهِ فِي آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ لَحْظَاتِ حَيَاتِهِ، وَمَنْ أَوْلَادُهُ؟ أَوْلَادُهُ يُوسُفُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَإِخْوَتُهُ، فَاسْمَعُوا مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْهُ ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٣﴾.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ﴿٤﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدَعْ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيْثُ إِلَّا تَكَلَّنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

(١) سورة الفرقان/ ٧٤.
(٢) سورة الأحقاف/ ١٥.
(٣) سورة البقرة/ ١٣٣.
(٤) سورة الأحزاب/ ٥٦.



اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، واحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

